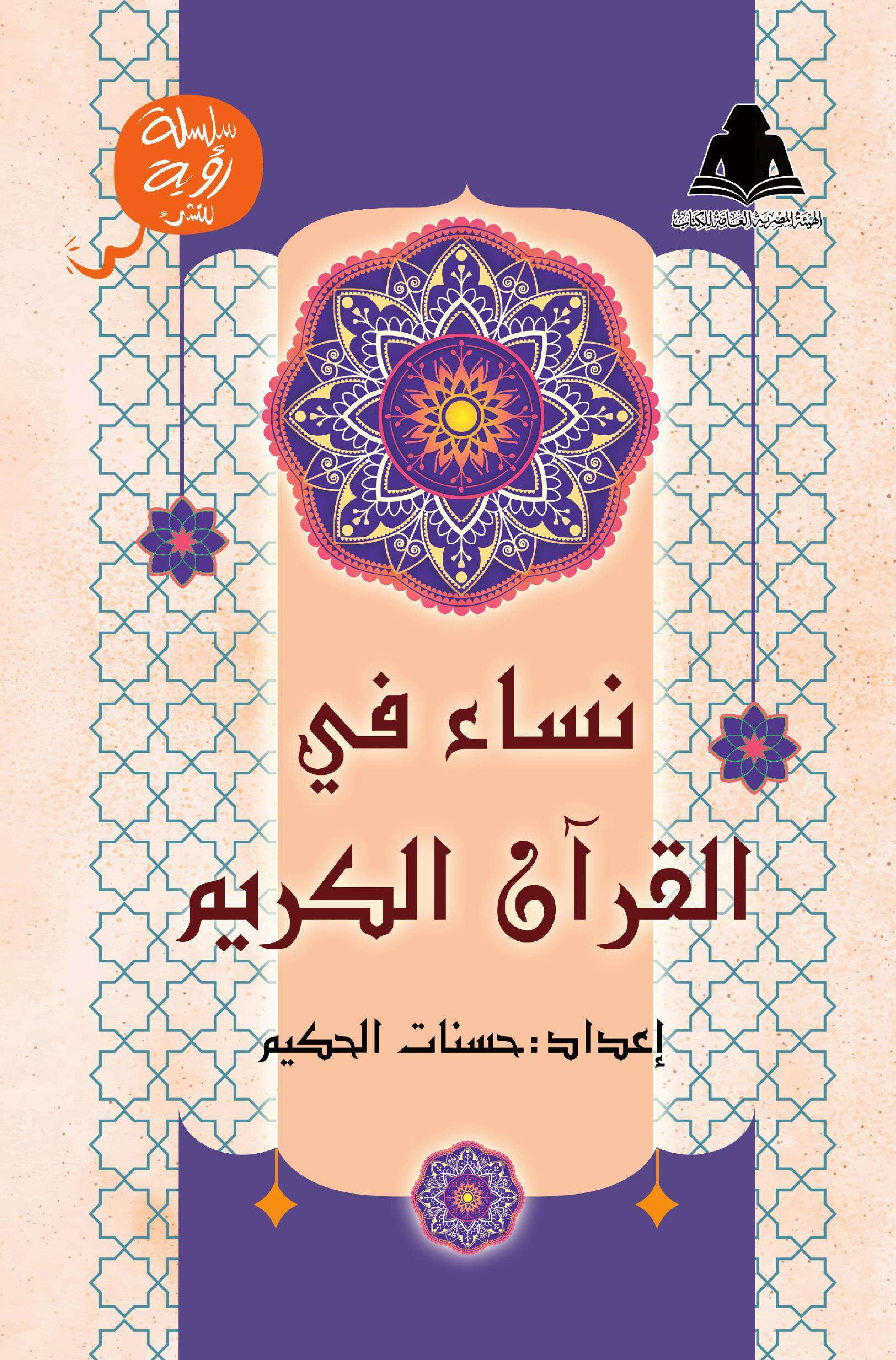

سلسلة رؤية للنشر
الهيئة المصرية العامة للكتاب
نساء في القرآن الكريم
إعداد: حسنات الحكيم

نساء في القرآن الكريم

إعداد

حسنات الحكيم

إشراف

د/ هدى حميد معوض

مدير إدارة الإعلام بوزارة الأوقاف

مراجعة وتقديم

أ.د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م





رئيس مجلس الإدارة

د. هيثم الحاج علي

الطبعة الأولى - الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٢٢م

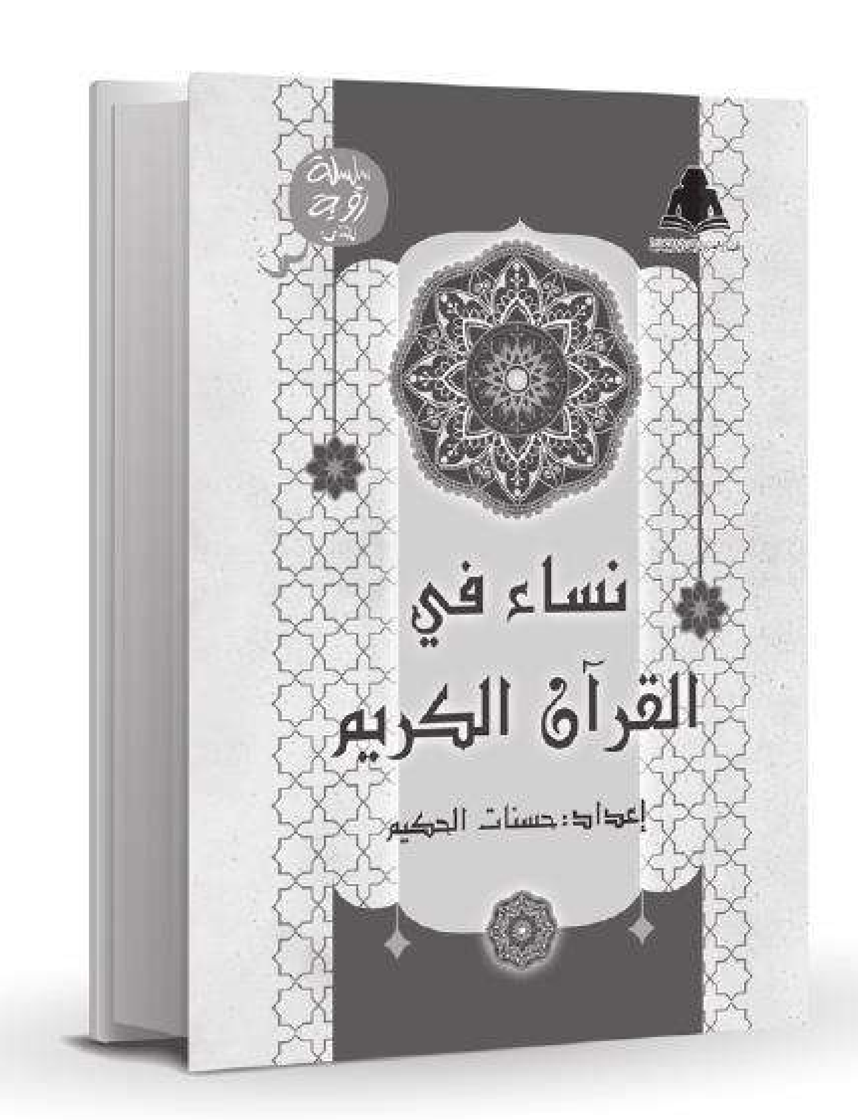
ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي: ١١٧٩٤
تليفون: ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

GENERAL EGYPTIAN BOOK ORGANIZATION
P.O.Box: 235 Ramses.
1194 Cornich El Nil - Boulac - Cairo
P.C.: 11794
Tel.: +(202) 25775109 Ext. 149
Fax: +(202) 25764276

website: www.egyptianbook.org.eg
E-mail: ketabgebo@gmail.com
www.gebo.gov.eg

إدارة المشروعات الثقافية

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب





نساء في القرآن الكريم

مراجعة وتقديم
أ.د/ محمد مختار جمعة

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

الإخراج الفني والغلاف

إيمان حامد



نساء في القرآن الكريم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله (ﷺ) وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد أكد الإسلام على مكانة المرأة أيما تأكيد، فهي صنو الرجل وزوجه، وكلاهما سكن لصاحبه، ولم يبخس ديننا الحنيف أيًّا منهما حقَّه، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾، ويقول سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة متكاملة ومتبادلة، يقول الحق سبحانه: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، ويقول (ﷻ): ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾، ويقول نبينا (ﷺ) في خطبة حجة الوداع: "أيها الناسُ إنَّ لكمْ على نسائِكم حقًّا ولنسائكم عليكُم حقًّا".

وقد أكد نبينا (ﷺ) على إكرام المرأة وعدم الجور على أي من حقوقها، فقال(ﷺ): "مَن كانت له أُنثى فلم يَئِدْها، ولم يُهِنْها، ولم يُؤثِرْ ولَدَه عليها أدخَلَه اللهُ الجَنَّةَ"، بل ووصى (ﷺ) بها خيرًا، فقال: "استوصُوا بالنِّساءِ خيرًا".

وفي هذا الكتاب تتناول الكاتبة جانبًا من سير بعض النساء اللائي ورد ذكرهن في القرآن الكريم، في أسلوب شيق يبرز بعض جوانب العبرة والعظة والدروس المستفادة من تلك القصص، مما يجعل منه إضافة جيدة لمكتبة الطفل.

أ.د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

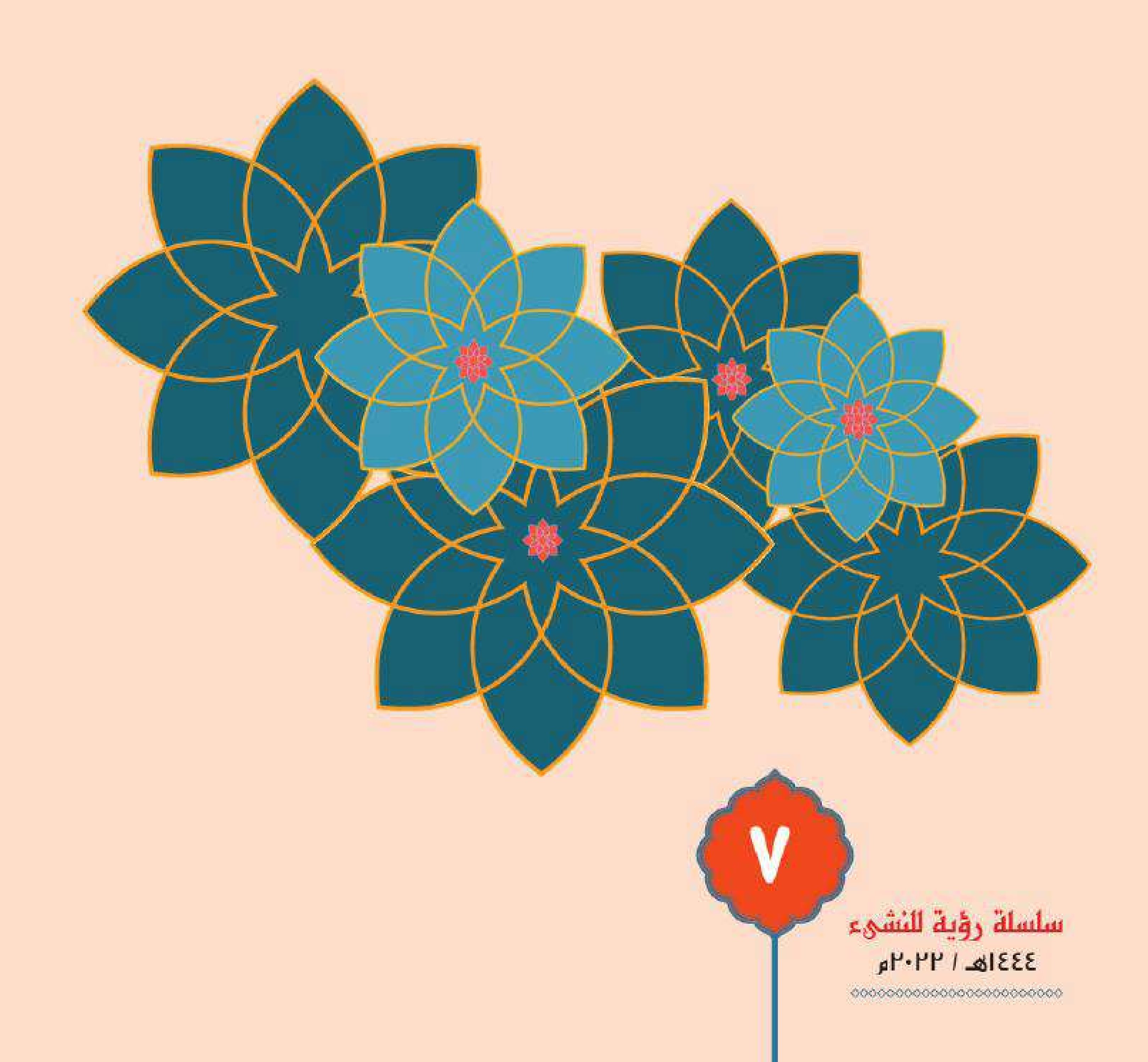
مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

أصدقائي القراء.. المرأة في الإسـلام لها مكانـة عظيمة، فهي الأم والأخت والبنت والزوجة، وهي نصف المجتمع، وقد تناول القرآن الكريم في الكثير من آياته شخصيات نسائية؛ تحدث عن بعضهنّ بتفصيل، وعن بعضهن بإيجاز.

وفي هـذا الكتاب نطالـع معًا قصصًا وردت في القـرآن الكريم عن نماذج نسـائية عديـدة، من نماذج إيجابية تجسـد الإيمـان واليقـين وتوحيد الله سبحانه وتعالى، كالسيدة هاجر (عليها السلام)، والسيدة مريم بنت عمران (عليها السلام)، والسيدة آسـية امرأة فرعون (عليها السلام)، وأم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها)، وأم المؤمنين السـيدة زينب بنت جحش (رضي الله عنها) (وعليهن جميعًا السلام).. فتعالوا معًا نقلب في صفحاته ونتعلم من قصص القرآن وعِبَر التاريخ.

حسنات الحكيم



أمنّا حوّاء
(عليها السلام)

السيدة حواء هي زوج آدم (عليه السلام)، منهما انحدرت البشريّة وتكاثرت، وإليهما تعود أنساب البشر جميعًا، فقد خلقها الله تعالى ليكون كل منهما سكنًا للآخر، وقد وردت قصَّتهما في القرآن الكريم في سور كثيرة، منها: سورة البقرة، وسورة الأعراف، وسورة طه[١].

لقد خلق الله تعالى آدم من تراب، وأسكنه الجنة، وكان فيها وحيدًا ليس له أنيسٌ، فكان يرجو بينه وبين نفسه أن يجد من يؤنسه في الجنة، فخلقَ الله (عز وجل) له امرأةً من جسده ليسكن كل منهما إلى صاحبه، وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: سميت حواء لأنها أم كل حي[٢].

وبعد أن خلق الله تعالى حواء صارت هي السكن لآدم (عليه السلام) وهو السكن لها، وكانا يعيشان حياة رغيدة هادئة في الجنة كما قصه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[٣]، وبينما آدم وحوَّاء قد رُزقا الجنَّة ، فقد أباح الله(عز وجل) لهما ما فيها من خيرات، إلَّا شجرة واحدة، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا

مِـنَ الظَّالِمِـينَ﴾(٤)، ولم يبـيّن القـرآن الكريم نوع هذه الشجرة؛ وقد سـمَّاها إبليس "شجرة الخلد"؛ ليسـتميل آدم وحوَّاء ويوقعهما في المحظور، يقول سبحانه: ﴿فَوَسْـوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾(٥).

لقد وسوس إبليس لآدم وحوَّاء بأن يأكلا من الشَّجرة التي نهاهما الله تعالى عن الأكل منها، وقد أغراهما بذلك وزعم أنَّ هذه الشَّجرة - تحديدًا ودون غيرها من الشَّجر - هي شجرة الخلد، فإن أكلا منها سيحظيان بالخلد في النعيم، أو يكونان من الملائكة، وما كان ذلك إلّا إغواءً من إبليس -لعنه الله- الذي كان يعلم عاقبة عصيان أمر الله (عَزَّ وَجَلَّ) والأكل من هذه الشجرة، يقول تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾(٦).

لقد أغوى إبليس آدم (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فأغراه بكلامه وأغواه بما سـيلاقيه بعد أن يأكل من هذه الشَّجرة، فعصى آدم ربَّه وخرج عن أوامره، ناسيًا غير متعمد، ولم يكن عنده العزم على المعصية، وبناءً على ذلك فلـم يكن الخـروج عن طاعة اللـه بقصد إغضاب اللـه(عَزَّ وَجَلَّ) بـل أراد آدم أن يُحَصِّل الخلود في هذه الجنَّة، كما أنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أكل من الشـجرة ناسـيًا لنهـي الله عنها، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِـن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَـهُ عَزْمًا﴾(٧)، وقد وصف اللـه تعـالى هذا الفعل مـن آدم بالعصيـان الذي أغواه، يقول تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾(٨).

وبعدمـا أكل آدم وحـوَّاء مـن هذه الشَّـجرة، وانخدعا بإغواء إبليس نـزل بهما عقاب الله تعالى، فانكشـفت لهما عوراتهما، وصارا يحاولان تغطيتها ببعـض ورق الجنـة، وناداهما ربهما جـل وعلا ألم أنهكما عن الأكل من تلك الشـجرة، وأقل لكما: إن الشيطان لكما عدو مبين ظاهر العداوة؟، قال تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّـيْطَانَ لَكُمَا عَـدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(٩)، ثم أمرهما اللـه(عَزَّ وَجَلَّ) بالهبـوط إلى الأرض، فعلم آدم وزوجته أنهما قد ظلما أنفسـهما وتابـا إلى الله تعالى، فغفر لهـما وقبل توبتهـما، قال تعـالى: ﴿وَقُلْنَـا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْـتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ* فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(١٠).

وهكذا بـدأت حيـاة البشريـة في الأرض بآدم وحوَّاء .. بدأت بالكدِّ والعمل.



الهوامش

(١) ورد ذكرهـا في سـورة البقـرة، الآيـات: ٣٠-٣٩، وفي سـورة الأعراف، الآيات:١١-٢٥، وفي سورة طه ، الآيات: ١١٥ – ١٢٤.
(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٠ / ٥٩ .
(٣) البقرة: ٣٥.
(٤) الآية السابقة.
(٥) طه: ١٢٠.
(٦) الأعراف: ٢٠.
(٧) طه: ١١٥.
(٨) طه: ١٢١.
(٩) الأعراف: ٢٢.
(١٠) البقرة: ٣٦، ٣٧ .



السيدة هاجر أم سيدنا إسماعيل (عليه السلام)

السيدة هَاجَر المِصرية هي أم نبي الله إسماعيل بن نبي الله إبراهيم (عليهما السلام)، زوجتها السيدة سارة زوج إبراهيم (عليه السلام) منه؛ لعل الله يرزقه منها الولد، فتزوجها وأنجب منها سيدنا إسماعيل (عليه السلام)، ففرح به فرحًا شديدًا وأحاطه بالرعاية والاهتمام.

عاشت السيدة هاجر وابنها مع السيدة سارة فترة من الزمان، لكن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم (عليه السلام) أن ينتقل بزوجته هاجر وابنه إسماعيل إلى مكة المكرمة حيث يوجد قواعد بيت الله الحرام، أخذ إبراهيم (عليه السلام) زوجته وابنه وسار بهما مسافة طويلة جدًّا حتى وصل إلى مكة المكرمة تنفيذًا لأمر الله تعالى، وكان المكان الذي أمره الله بتركهما فيه صحراء جرداء خالية من الناس ومن الماء والزرع والطعام، ومع ذلك امتثل إبراهيم (عليه السلام) لأمر الله (عز وجل)، وترك لهما بعض الزاد من التمر والماء، ثم تركهما وعاد راجعًا، وحين كان سيدنا إبراهيم (عليه السلام) يستعد للرحيل، تشبثت به السيدة هاجر وقالت: يا إبراهيم! أتتركنا في هذا الوادي الخالي من البشر ومن أي شيء؟ فكررت عليه السؤال مرات عديدة، فظل صامتًا، فسألته: هل أمرك الله بذلك؟ فقال: نعم، فأجابت بثقة وإيمان: إذن فلن يضيعنا الله[1].

وبعـد أن سـار إبراهيم (عليه السلام) قليلًا دعا الله تعالى قائلًا: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[٢]، وبعـد أن نفد الماء الذي معها أخذت السيدة هاجر تبحث عن الماء، فصعدت جبل الصفا فلم تجد ماءً، فعادت إلى جبل المروة فلم تجده أيضًا، فعلت ذلك سبع مراتٍ؛ ولذلك يذكرنا السعي بين الصفا والمروة في الحج أو العمرة بما قامت به السيدة هاجر في هذا الموقف العظيم، وبعد المرة السابعة تعبت السيدة هاجر من السعي؛ فجلست تدعو الله تعالى وهي تنظر إلى طفلها وهو يبكي ويضرب الأرض بقدميه من شدة العطش ويتقطع قلبها ألمًا بسبب ذلك، فإذا بسيدنا جبريل (عليه السلام) ينزل من السماء ويضرب الأرض بجناحيه فيتفجر الماء بقوة وغزارة، أخذت السيدة هاجر الماء في يديها وسقت إسماعيل (عليه السلام) وشربت حتى ارتويا ماءً عذبًا، وراحت تحيط الماء وتزمه بالرمال أي: تحبسه وتغترف بيدها؛ لذلك سميت ببئر زمزم، قال (ﷺ) عن أم إسماعيل: " يَرْحَمُهَا اللهُ وَلَوْ تَرَكَتْهَا لَكَانَتْ عَيْنًا سَائِحَةً تَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "[٣]، وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما): " رَحِمَ الله أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ - لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا"[٤]، وبعد أن تفجّرت مياه زمزم للسّيدة هاجر وابنها إسماعيل (عليه السلام)، ظلّت مقيمة في هذا المكان، وفي هذه الأثناء كانت قافلة من قبيلةٍ عربيّةٍ اسمها "جُرهُم" تسير بالقرب منهم، فرأوا الطيور تدور في سماء تلك المنطقة، وكان العرب يعرفون أنَّ الطّير لا يأتي إلّا على المكان الذي يكون فيه الماء، فبعثوا رجلًا منهم ليتفقد تلك المنطقة، فإذا به يعود إليهم ليخبرهم أنَّ هناك ماء وتقيم عنده امرأةٌ مباركة وطفلها، فجاءوا واستأذنوها في البقاء معها عند الماء، فرضيت السيدة هاجر؛ لأنَّ وجودهم يؤنس وحدتها ويُذهب خوفها من هذه الصّحراء، فبعثوا رسولًا منهم لاستدعاء باقي قبيلتهم، وعاشت السّيدة هاجر بينهم هي وولدها سعيدةً راضية بعد أن آنس الله وحدتها ورزقها الطّعام والشّراب.. نشأ سيدنا إسماعيل (عليه السلام) وترعرع بينهم وتعلّم منهم اللغة العربية، وظل سيدنا إسماعيل (عليه السلام) بينهم حتى كبر وصار فتًى قويًا، أبلغه سيدنا إبراهيم (عليه السلام) بأن الله أمره أن يرفع قواعد البيت الحرام هو وابنه إسماعيل (عليهما السلام)، فساعد إسماعيل أباه في بنائه، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٥].

الهوامش

(١) والحديث أصله في صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ الله إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، حديث رقم ٣٣٦٥. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما)، قَالَ: لَمَّا كَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ أَهْلِهِ مَا كَانَ، خَرَجَ بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إِسْمَاعِيلَ، وَمَعَهُمْ شَنَّةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ، فَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاتَّبَعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، حَتَّى لَمَّا بَلَغُوا كَدَاءً نَادَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ: يَا إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَنْ تَتْرُكُنَا؟ قَالَ: إِلَى الله، قَالَتْ: رَضِيتُ بِاللهِ، قَالَ: فَرَجَعَتْ فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى لَمَّا فَنِيَ المَاءُ، قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا، قَالَ فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا فَنَظَرَتْ، وَنَظَرَتْ هَلْ تُحِسُّ أَحَدًا، فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا، فَلَمَّا بَلَغَتِ الوَادِيَ سَعَتْ وَأَتَتِ المَرْوَةَ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ أَشْوَاطًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، تَعْنِي الصَّبِيَّ، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالِهِ كَأَنَّهُ يَنْشَغُ لِلْمَوْتِ، فَلَمْ تُقِرَّهَا نَفْسُهَا، فَقَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ، لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا، فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا، فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا، حَتَّى أَتَمَّتْ سَبْعًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، فَإِذَا هِيَ بِصَوْتٍ، فَقَالَتْ: أَغِثْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ، فَإِذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: فَقَالَ بِعَقِبِهِ هَكَذَا، وَغَمَزَ عَقِبَهُ عَلَى الأَرْضِ، قَالَ: فَانْبَثَقَ المَاءُ، فَدَهَشَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَعَلَتْ تَحْفِزُ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو القَاسِمِ (ﷺ): «لَوْ تَرَكَتْهُ كَانَ المَاءُ ظَاهِرًا». قَالَ: فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ المَاءِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، قَالَ: فَمَرَّ نَاسٌ مِنْ جُرْهُمَ بِبَطْنِ الوَادِي، فَإِذَا هُمْ بِطَيْرٍ، كَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا ذَاكَ، وَقَالُوا: مَا يَكُونُ الطَّيْرُ إِلَّا عَلَى مَاءٍ، فَبَعَثُوا رَسُولَهُمْ فَنَظَرَ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَأَتَاهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ، فَأَتَوْا إِلَيْهَا فَقَالُوا: يَا أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَكُونَ مَعَكِ، أَوْ نَسْكُنَ مَعَكِ، فَبَلَغَ ابْنُهَا فَنَكَحَ فِيهِمُ امْرَأَةً .. الحديث.

(٢) إبراهيم: ٣٧.

(٣) مسند أحمد ط الرسالة ،٤ / ١٤٠، حديث رقم: ٢٢٨٥.

(٤) مسند أحمد ، ٥/ ٢٩٩ ، حديث ٣٢٥٠ ، ونهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب ، شهاب الدين النويري ت ٧٣٣هـ ١٣ / ١١٦، ط دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ .بتصرف.

(٥) البقرة: ١٢٧.





السيدة سارَّة أم سيدنا إسحاق (عليه السلام)

كانت السيدة سارة بنت هاران مؤمنة عابدة تقية نقية، أحبها أبو الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) حبًّا شديدًا لدينها وقرابتها منه، فهي أول من آمن به وبدعوته حين بعثه الله تعالى هاديًا لقومه.

كانت السيدة سارة زوجة الخليل إبراهيم (عليه السلام) امرأةً عاقرًا؛ أي لا تحمل ولا تنجب، وظلت بعد زواجها من الخليل إبراهيم سنوات طويلة تتمنى أن تنجب له ولدًا، ولكن إرادة الله قضت بغير ذلك، فشعرت السيدة سارة بالحزن والقلق؛ لأنها لم تنجب ابنًا يكون سندًا لها ولزوجها ويدخل السرور إلى قلبيهما.

كان إبراهيم (عليه السلام) شغوفًا بأن يكون له ولد، وكانت سارة تعلم بأنها عاقر، ولن يكون لإبراهيم (عليه السلام) ولدٌ منها، ولما رأت مدى شوقه للولد حيث كان يدعو الله تعالى كثيرًا

أن يرزقه بالذرية الصالحة اقترحت عليه السيدة سارة أن يتزوج من السيدة هاجر المصرية التي كانت قد أُهديت إليها، لعل الله أن يرزقه منها الولد الذي يتمناه ويشتاق قلبه إليه، ففعل ذلك إبراهيم (عليه السلام) وتزوج من السيدة هاجر، ورزقه الله منها بابنه إسماعيل (عليه السلام).

مضت السنوات حتى بلغت السيدة سارة من الكبر عتيًا، إلا أن مشيئة الله وقدرته لا يعلوها شيء، فقد شاء الله للسيدة سارة أن تنجب رغم بلوغها هذه السن الكبيرة التي يصعب أن تنجب فيها المرأة، ولكن إرادة الله لا يعجزها شيء، فقد بشر الله نبيه إبراهيم (عليه السلام) بأن زوجته سارة ستنجب ولدًا اسمه إسحاق، وأرسل إليه وفدًا من الملائكة على صورة بشر ليبلغوه هذه البشرى العجيبة والمعجزة الكبيرة، ولما سمعت السيدة سارة حديث الملائكة مع إبراهيم اندهشت، كيف تنجب وهى عجوز عقيم؟ وقد حكى القرآن الكريم هذا الموقف بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ* فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ* وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ الله رَحْمَتُ الله وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾[1].

فكان جزاء الله عز وجل للسيدة سارة على صبرها وإيمانها عظيمًا، فلم يقتصر على المعجزة التي تحققت بأنْ تلد في هذه السن الكبيرة وهي عاقر وزوجها شيخ كبير ؛ بل جعلها الله أمًّا للأنبياء، فهي أم نبي الله إسحاق، وهو والد نبي الله يعقوب عليهما السلام الذى ينحدر من نسله أنبياء بني إسرائيل جميعًا.



الهوامش

(١) هود: ٦٩- ٧٣ .

السيدة مريم
(عليها السلام)

وُلدت السيدة مريم بنت عمران بعد أن ظلت أمها لسنوات عديدة عاقرًا لا تُنْجب، فطلبت من الله (عَزَّ وَجَلَّ) أن يرزقها بغلام صالح يكون من خُدام بيت المقدس؛ ويكون عونًا لها؛ فاستجاب الله دعاءها فحملت، إلا أن زوجها عمران توفي أثناء حملها، وقبل أن يفرحا بالمولود.

وقد شاء الله تعالى أن يكون المولود هو السيدة مريم (عليها السلام) التي اصطفاها وفضلها على جميع نساء العالمين، وعندما ولدتها أمها دعت الله تعالى أن يحميها هي وذريتها من الشيطان الرجيم، قال تعالى على لسانها: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[1].

وبالفعل نشأت السيدة مريم على طاعة الله (عَزَّ وَجَلَّ) وحبه، وكان يرعاها نبي الله زكريا (عليه السلام) فكان يعلمها تعاليم الدين والقيم والأخلاق الحميدة؛ ومن ثم نشأت عفيفة طاهرة مطيعة لأوامر الله (عَزَّ وَجَلَّ)، وكانت دائمة العبادة لله (عَزَّ وَجَلَّ) في ليلها ونهارها، تتعبد في محرابها طالبة من الله (عَزَّ وَجَلَّ) أن يعينها على طاعته وأن يعفها ويطهرها، وكان نبي الله زكريا (عليه السلام) كلما دخل عليها المحراب وجد عندها كل طيب ووفير من خيرات الله تعالى، كان يجد عندها ألوانًا من الأطعمة والفواكه في غير أوانها فيسألها: من

أين لكِ هذا؟ فتجيبه: هو من عند الله، يقول الله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢].

لقد كانت السيدة مريم (عليها السلام) تُعرف بجميل أخلاقها وبحسن سلوكها وتدينها وتقواها، وكان أهلها يشهدون لها بذلك، وفي ذات يوم وهي في محرابها تتعبد جاءها سيدنا جبريل (عليه السلام) في المحراب فخافت منه، إذ كيف وصل لمحرابها والأبواب مغلقة، قالت: أعوذ بالله منك إن كنت تقيًا، فقال لها: يا مريم أنا رسـول من عنـد الله إليك، فبشرها بأنها ستلد غلامًا عظيم الشأن اسمه عيسى يكلم الناس في المهد، قال تعالى:﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٣]، في المهد أي: وهو وليد في سن الرضاعة، فردت عليه السيدة مريم: وكيف يكون لي غلام ولم أتزوج ولم يمسسني بشر؟! فقال لها: إن الله قادر على أن يخلـق ولدك بلا زوج، فيكـون ولدك عيسى آية للناس جميعًا، فلا تخافي ولا تحزني ولا يغضبك قول قومك عليكِ فإن الله معكِ، وقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك في مواضع، منها قوله تعـالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَـذَتْ مِنْ أَهْلِهَـا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَـذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَـلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًـا زَكِيًّا* قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾[٤].

وعندمـا اقترب ميعـاد ولادتها ذهبـت إلى الوادي البعيـد لكي تلد، وهنا أسـندت ظهرها إلى جذع النخلة وظلت تناجي الله وتدعـوه، فناداها جبريل (عليه السلام) وبشرها بولادة نبي الله عيسى (عليه السلام)، ولكي يطمئنها ويهدئهـا أمرها أن تهز جذع النخلة تُسـقط عليها رُطبًا طيبًـا، وأمرها بأن تأكل منـه وتطمئن هي وولدها، وأن تعود به إلى قومها؛ ولكن لا تكلم أحدًا منهم بل تشير إلى سيدنا عيسى (عليه السلام)، وبعد مدة عادت إليهم ومعها نبي الله عيسى (عليه السلام) وهو في المهد، قال لها قومها: مـن أين أتيتِ بهـذا الولد يا مريـم؟! إن أباكِ كان من العلماء الصالحين، وكانت أمك من العابدات الصالحات، فكيـف لك بولد دون زواج ؟!، قال تعـالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَـا تَحْمِلُـهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَـيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْـتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَـوْءٍ وَمَـا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[٥]، فلما سألها قومها عن أمره أشارت إليه، لكنهم سألوها في تعجب واستنكار: كيف نكلم طفلًا رضيعًا ما زال في المهـد؟! وهنا وقعت معجزة عظيمة، حيث نطق الطفـل الرضيع عيسى (عليه السلام) وقال لهم: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللـه آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّـا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[٦]، فأنطقه الله (عز وجل) ليخفف عن أمه مريم (عليها السلام) [٧].

وبهذه المعجزة العظيمة رد الله تعالى للسيدة مريم كرامتها، فعلموا مكانتها وأظهروا لها الاحترام والتقدير.



الهوامش

(١) آل عمران: ٣٦.
(٢) آل عمران: ٣٧.
(٣) آل عمران: ٤٥، ٤٦.
(٤) مريم: ١٦-٢١.
(٥) مريم: ٢٧، ٢٨.
(٦) مريم: ٣٠، ٣١.
(٧) تفسير القرطبي، ٨٩/١١، وقصص الأنبياء لابن كثير، ٢/ ٣٨٤.



وُلد سيدنا موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في بيئةٍ كان يحكمها فرعون، وكان قد أصدر قرارًا قبل ولادة سيدنا موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بقتل من يولد لبني إسرائيل من الذكور عامًا وبتركهم عامًا آخر لرؤية رآها ، فعندما حملت أمُّ موسى أخفت حملها خوفًا من ظلم فرعون وجنوده.

وعندما وَلَدَتْ أم موسى طفلها خافت عليه، وكان بيت أم موسى مشرفًا على النيل، فألهمها الله تعالى أن تجعل له صندوقًا خشبيًا، فإذا دخل عليها من تخافه وضعته في الصندوق وألقته في النهر، ففعلت، فحمله النهر إلى قصر فرعون، وهنا تجلت رحمة الله وعنايته بأم موسى وبولدها (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فوعدها سبحانه أن يرد إليها ولدها سالمًا وأن يكون من المرسلين، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[1].

فلما وجدته الجواري، أحضرنه لامرأة فرعون السيدة آسية، وما أن وقع بصرها عليه حتى أحبته حبًّا شديدًا، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[2]، وقررت أن تأخذه وتربيه وتتخذه ولدًا، فكانت سببًا في حمايته من بطش فرعون، فحينما أراد قتله منعته السيدة آسية وقالت له: فلنتخذه

ولدًا ينفعنا، رفض فرعون في البداية، ولكن تحت إلحاح من زوجته وافق أن تقوم بتربيته، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾(٣).

لم يهدأ بال أم موسى وظل قلبها معلقًا بابنها الوليد، وظلت في قلق دائم، فطلبت من ابنتها أن تتبع أثر أخيها الرضيع وتسأل عنه حتى تعرف أين استقر به المقام.

ظلت البنت تسأل وتتقصى أخبار الطفل دون أن تخبر أحدًا أنها أخته، وبالفعل علمت أن الطفل وصل إلى قصر فرعون، عندها فزعت البنت وخافت أن يكون فرعون قد قتل أخاها، فاقتربت من القصر وأخذت تراقب الأوضاع داخله وتسأل بعض الموجودين حتى علمت أن امرأة فرعون أحبت الطفل الرضيع وطلبت من زوجها ألا يقتله وأن يبقيه عسى أن ينفعهما أو يتخذاه ولدًا لهما.. وأنه قد وافق على ذلك بعد إلحاح منها.

وعندما اشتد الجوع بموسى (عليه السلام) أخذ يصرخ ويصرخ، فطلبوا له مرضعةً من النساء لكي ترضعه مقابل أجر تأخذه، لكن موسى (عليه السلام) رفض الرضاعة واستمر في البكاء، فطلبوا له مرضعة أخرى لكنه رفضها، وهكذا أحضروا له الكثير من المرضعات لكنه رفض الرضاعة من أي واحدة منهن، وقد حكى الله تعالى هذا المشهد فقال: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾(٤).

وهنا انتهزت أخت موسى الفرصة وقالت للحراس: إنني أعرف امرأة يمكنها أن ترضع هذا الطفل، عندها وافق أهل القصر على إحضار المرضعة التي أخبرتهم بها أخت موسى، فانطلقت الفتاة إلى أمها تزف لها الخبر السعيد وتطمئنها على أخيها وتخبرها بأمر المرضعة التي كانت هي أم موسى نفسها، قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٥).

فرحت أم موسى فرحًا شديدًا بهذا الخبر العظيم، ودمعت عيناها من شدة الفرح؛ فها هي تطمئن على سلامة ابنها ونجاته من القتل، بل سيعود إلى حضنها الحنون من جديد ولكن على اعتبار أنها مرضعة دون أن يعلم أحد أنها الأم الحقيقية للوافد الجديد إلى قصر فرعون.

حضرت الفتاة ومعها أم موسى إلى القصر وأخبرتهم أنها المرضعة التي طلبوها لإرضاع الطفل، فسمح لهما الحراس بالدخول، وعندما رأت أم موسى وليدها أقبلت عليه بقلبها قبل جسدها، واحتضنته بشوق وحنان، وقف الجميع ينظرون في ذهول إلى المرضعة الجديدة، خاصة عندما شاهدوا الطفل قد توقف عن البكاء، وأخذ يرضع منها بنهم شديد.

وهكذا تحقق وعد الله للمرأة الصالحة أم نبي الله موسى (عليه السلام) بأن يرد إليها ولدها جزاء إيمانها ويقينها بالله سبحانه وتعالى في إنجاز وعده سبحانه وتعالى، وقد بدَّل حالها لأحسن حال، فبدَّل خوفها أمنًا، وبدَّل فقرها غنًى، وبدَّل ضعفها قوة، قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾(٦).



الهوامش

(١) القصص: ٧.
(٢) طه: ٣٩.
(٣) القصص: ٩.
(٤) القصص: ١٢.
(٥) القصص: ١٣.
(٦) القصص: ١٣، وانظر تفسير الجلالين، ٥٠٨/١، وتفسير القرطبي، ٣٥٤/١٣ ..

بلقيس ملكة سبأ



كانت بلقيس ملكة مملكة سبأ في اليمن في زمن نبي الله سليمان بن داود (عليهما السلام)، وقد ذُكرت الملكة بلقيس في القرآن الكريم في سورة النمل، وهي واحدةٌ من أشهر النساء في التاريخ القديم.

كان سيدنا سليمان (عليه السلام) قد علَّمه الله لغة الحيوانات والطيور، وسخر له الجن يعملون بين يديه، وفي أحد الأيام كان يتفقد الطير فلم يرَ الهدهد، فسأل عنه لأنه لم يستأذن نبي الله سليمان(عليه السلام) في مغادرة مكانه، فعزم على تعذيبه أو ذبحه إن عاد ولم يحمل معه عذرًا يشفع له ويفسر سبب غيابه.

جاء الهدهد وقال لنبي الله سليمان (عليه السلام): لقد جئتك بأخبار أكيدة من مدينة سبأ باليمن، لقد وجدت امرأةً تحكمهم وأعطاها الله قوةً وملكًا عظيمين وسخّر لها أشياء كثيرة، ولها عرش عظيم، وكرسي مرصّع بالجواهر، وأضاف الهدهد أن بلقيس وقومها يعبدون الشمس من دون الله، قال تعالى عن رحلة الهدهد: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ

بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ الله وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[1].

تعجب نبي الله سليمان (عليه السلام) من كلام الهدهد، وأن هناك قومًا لديهم كل شيء ويسجدون للشمس من دون الله تعالى، وهنا عزمَ نبي الله سليمان (عليه السلام) أن يرسل إليها رسالة يدعوها إلى الإيمان بالله تعالى وترك عبادة الشمس، ثم كتب كتابًا وأعطاه للهدهد وقال له: اذهب وألقه إليها ثم انتظر حتى تعلم بما يجيبون عليَّ.

وصلت الرسالة إلى بلقيس وقرأت فيها: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[2]، طرحت الملكة على رؤساء قومها الرسالة، وكانت عاقلة تشاورهم في جميع الأمور؛ فكان رد فعل الملأ وهم رؤساء قومها التحدي.

أراد رؤساء قومها أن يقولوا: نحن على استعداد للحرب، ولكن الملكة كانت أكثر حكمة منهم، فإن رسالة سليمان (عليه السلام) أثارت تفكيرها أكثر مما استفزتها للحرب، ففكّرت الملكة طويلًا في رسالة نبي الله سليمان (عليه السلام)، كان اسمه مجهولًا لديها، لم تسمع به من قبل، وبالتالي كانت تجهل كل شيء عنه، وعن قوته

الهوامش

(١) النمل: ٢٢- ٢٤.

(٢) النمل: ٣١،٣٠.

وصدق دعوته، ربما يكون قويًّا إلى الحد الذي يستطيع فيه غزو مملكتها وهزيمتها، فقررت أن ترسل إليه بهدية، وفي ضوء ما يرجع به المرسلون سيكون تقدير موقفها الحقيقي منه ممكنًا، قال تعالى مصورًا لهذا المشهد: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[٣].

لكن نبي الله سليمان (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لم يقبل هديتهم وردها، وأخبر رسول الملكة بأن الله قد أتاه ملكًا عظيمًا ونبوة كريمة، وأن لديه ما هو أفضل من هديتهم، ودعاهم أن يأتوا إليه مسلمين، فإن رفضوا فسيرسل إليهم بجنود لم يروا مثلها من قبل ولا طاقة لهم بها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٤].

وعلمت ملكة بلقيس بذلك، فقررت الذهاب إلى سليمان (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ومعها أشراف قومها وكبراؤهم لتستمع إليه، وعلم نبي الله بقدومها، فسأل جنوده من الإنس والجن عمن يستطيع أن يحضر له عرشها قبل أن تصل هي وقومها إليه،



قال تعالى على لسـان سيدنا سليمان (عليه السلام):
﴿قَـالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِـهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُـونِي مُسْـلِمِينَ﴾[5]، فقال عفريـت من الجن: أنا أسـتطيع إحضار عرشـها قبـل أن تنتهي من مجلسك، وأنا قادر على حمله وأمين على جواهره، لكـنَّ شـخصًا آخر يطلـق عليه القـرآن الكريم: ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال لسـليمان: أنا أسـتطيع إحضار العرش في لمـح البصر[6]، قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَـابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْـتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْـكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[7].

فلما وصلت بلقيس انبهرت بما شـاهدته من ملك نبي الله سليمان (عليه السلام) وما مكنه الله فيه من أسباب القوة، مثلما انبهرت بما رأته من تقدمه في الصناعات والفنون والعلوم، وأدركت بلقيس أنها تواجه واحدًا من أنبياء الله الكرام، فأسلمت وآمنت بالله سبحانه وتعالى، وأدركت أن الشمس التي تعبدها هي وقومها ليست إلا مخلوقًا خلقه الله تعالى وسخره لعباده[8]، وقد أحسنت بلقيس حين أسرعت لاتباع الحق عندما عُـرض عليها ولم تتأخر، قال تعالى على لسـانها: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْـلَمْتُ مَعَ سُـلَيْمَانَ لِله رَبِّ الْعَالَمِـينَ﴾[9].

الهوامش

(٣) النمل: ٣١، ٣٠.

(٤) النمل: ٣٥ - ٣٧.

(٥) النمل: ٣٨.

(٦) تفسير ابن كثير، ١٧٣/٦. بتصرف.

(٧) النمل: ٣٩، ٤٠ .

(٨) تفسير النسفي، ٦٠٠/٢، وتفسير القرطبي، ١٣/ ١٧٧.

(٩) النمل: ٤٤.

السيدة زليخا

ذكر القرآن الكريم قصة السيدة زليخا مع نبي الله يوسف (عليه السلام) في سورة يوسف[1]، فقد كان ليوسف مكانة كبيرة في قلب أبيه يعقوب (عليه السلام) فحظي منه على حب كبير ظاهر، وقد لاحظ ذلك إخوته فحسدوه على هذا الحبّ ودبّت في قلوبهم الغيرة منه، حتى أعدوا مكيدةً لإبعاده عن أبيه يعقوب (عليه السلام)، فاجتمعوا على أن يرموه في بئر، قال تعالى على لسان أحد إخوته: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾[2]، فطلبوا من أبيهم أن يرسله معهم وهم يرعون الغنم ليلعب ويلهو حولهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[3]، لكنهم رموه في البئر وعادوا إلى أبيهم يتظاهرون بحزنهم على فراق أخيهم، وأخبروا أباهم بأن الذئب قد أكله، وجاءوا بقميصه وعليه دم كاذب، أي ليس دم يوسف.

وبينما يوسف (عليه السلام) في البئر توقفت إحدى القوافل العابرة عند البئر، فألقى أحدهم إناءه ليغترف ماءً من البئر فوجد طفلًا قد تعلق به، فأخذوه وباعوه في مصر، فاشتراه عزيز مصر؛ أي وزيرها متوسمًا فيه الخير والبركة، وأوصى امرأته زليخا بإكرامه والإحسان إليه، قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَالله عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ * وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾[٤].

وقد وهب الله تعالى ليوسف (عليه السلام) جمالًا عظيمًا، حتى إن من يراه لا يصدق أنه بشر من شدة جماله.. كبر يوسف في بيت العزيز وصار شابًّا وسيمًا قوي الجسد.. حتى إن زليخا وقعت في حبه، وأرادت منه أن يبادلها الحب، لكنه رفض رفضًا شديدًا، فهو من بيت النبوة والصلاح، وقد أحسن إليه زوجها وأكرمه، فلا ينبغي أن يقابل إحسانه وكرمه بالجحود والخيانة، تملك الغيظ من زليخا وحاولت أن تقنع يوسف بما أرادت، لكنه أبعدها عنه وخرج مسرعًا من عندها باتجاه الباب، فلحقت به وشدت قميصه فشقَّته من الخلف، وحاولت أن تسبقه في الوصول للباب لتُحكم إغلاقه، لكنها عندما وصلت إلى الباب وجدت زوجها أمامها، ولكي تبعد التهمة عن نفسها بادرت بالشكوى لزوجها، وأخبرته أنّ يوسف قد أراد بها سوءًا.

طلب العزيز من يوسف (عليه السلام) أن يرد على اتهام زليخا، فرد بأنها هي التي أغلقت الأبواب لتمنعه من الخروج، وأنه هرب منها فجَرَتْ خلفه وجذبته من قميصه حتى قطعته من الخلف.

يسَّر الله ليوسف (عليه السلام) شاهدًا من أهل زليخا وأقاربها، ليشهد بصدقه وبراءته، وأخبرهم الشاهد بطريقة تُبين إن كان يوسف (عليه السلام) صادقًا أم كاذبًا؛ وذلك بحسب الشق الموجود في قميصه، فإن كان من الأمام فإنّ زليخا هي الصادقة، لأن معنى ذلك أن يوسف هو الذي



الهوامش

(١) قال ابن حجر:" اسْمُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ فِي الْمَشْهُورِ زُلَيْخَا وَقِيلَ رَاعِيلُ وَاسْمُ سَيِّدِهَا الْعَزِيزُ قِطْفِيرُ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَقِيلَ بِهَمْزَةٍ بَدَلَ الْقَافِ". فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ٨/ ٣٦٣، ط دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ .

(٢) يوسف: ١٠.

(٣) يوسف: ١١، ١٢.

(٤) يوسف: ١٩ ، ٢١.

حاول الاقتراب منهـا وأنها دفعته بعيدًا عنها فانقطع قميصه من الأمام، وإن كان القميص قد قُطع من الخلف فإنها كاذبة في ادعائهـا لأن معنى ذلك أنه حـاول الهرب منها وهي التي جرت خلفـه وجذبته من الخلف، وهو بالفعل ما كان، يقول تعالى:﴿وَشَـهِدَ شَـاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَـتْ وَهُوَ مِـنَ الْكَاذِبِينَ* وَإِن كَانَ قَمِيصُـهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَـتْ وَهُوَ مِـنَ الصَّادِقِينَ* فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَـهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِـن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيـمٌ﴾[٥]، فعلم العزيز أنّ يوسف(عليه السلام) بريء من هذه التهمة.

وبعدمـا انتشرت هـذه القصة بين نسـوة المدينة، طلبت السـيدة زليخـا منهـن أن يحضرن عندها وهيـأت المكان لجلوسـهنّ، وأعطت كل واحـدة منهن ثمرةَ فاكهةٍ وسـكينًا لتقطعها وتأكل منها، وطلبت من يوسف(عليه السلام)أن يخرج إليهنّ، فلما رأينَ حُسـنه وجماله جرحن أيديهنَّ بالسـكاكين من غير أن يشـعرن بذلك، فعندئذ اعترفـت زليخا بما فعلت ليلتمسـن لها العذر في ذلك، وتوعدت يوسف بالسجن إذا لم ينفذ ما طلبته منه، وبعدما رأى يوسـف ذلك الموقف طلب مـن الله (عزّ وجلّ) أن يُبعـد عنه كيدهنّ، وفضّل السـجن على

الوقـوع في الحـرام، وهذا ما حـدث فعلًا، فقد سُجن يوسف لسنوات، وظل خلال تلك السنوات يدعو السجناء لعبادة الله فآمن عدد كبير منهم، قال تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِـهِ فَاسْـتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ رَبِّ السِّـجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْـتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْـهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٦].

كما أعطى الله سـيدنا يوسـف (عليه السلام) القدرة على تفسير الأحلام، وذات مرة رأى ملك مصر في منامه سـبع بقرات ضعاف يأكلن سبع بقرات سِمان، ورأى سـبع سنبلات جافة يابسة تأكل سبع سنبلات خضراء، وطلب من المفسرين أن يفسروا هذا الحلـم العجيب، لكنهم عجزوا جميعًا، فاقترح أحد خُدام الملك وكان قبل ذلك مسجونًا مع سيدنا يوسف (عليه السلام) أن يرسلوا إلى يوسـف ليخبرهم بتأويل هـذه الرؤيا، فهو القادر على تفسـيرها، فأجابهم سـيدنا يوسف بتأويلهـا، عندها طلب الملك أن يأتوا بيوسـف من السـجن، فوافق سـيدنا يوسف (عليه السلام) لكن بشرط: أن يسـألوا النسـاء الـلاتي قطعن أيديهن عنه وعـن براءته، قال تعـالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِـكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُـولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْـأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْـوَةِ الـلَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُـفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُـوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِـهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِـينَ * ذَلِـكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْـهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِـينَ﴾[٧]، وبالفعل شهدت النسـوة بأن يوسف (عليه السلام) بريء، وأن زليخا اعترفـت أمامهـن بفعلتها، وجاءت زليخا بنفسـها واعترفت ببراءة يوسف وبخطئها وندمهـا وتوبتهـا إلى اللـه (عز وجل)[٨].



الهوامش

(٥) يوسف: ٢٦- ٢٨.

(٦) يوسف: ٣٢-٣٤.

(٧) يوسف: ٥٠ – ٥٢ .

(٨) انظر: تفسـير الجلالين، ٣٠٦/١، وتفسـير النسـفي، ١٠٢/٢، وتفسير القرطبي، ١٦٣/٩، وتفسير ابن كثير، ٣٢٥/٤.



أم المؤمنين
السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق
(رضي الله عنهما)

هي: عائشة بنت أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة (رضي الله عنها)، زوج النّبي (صلى الله عليه وسلم)، وابنة خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سيدنا أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وأمّها أمّ رومان بنت عامر الكنانية (رضي الله عنها)، وقد وُلِدت السيدة عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) في مكة المكرمة، وترعرعت في بيتٍ يدين بدين الإسلام، وتربّت على يدِ أبوين مؤمنين، فتجمّلت بالأدب والأخلاق.

زواج النبي (صلى الله عليه وسلم) منها:

توفيت السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، وحزن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليها حُزنًا شديدًا، وبعد سنتين من وفاة السيدة خديجة (رضي الله عنها) تزوج الرسول (صلى الله عليه وسلم)، بأمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، وكان ذلك في رؤيةٍ رآها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورؤيا الأنبياء وحيٌ، فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها)، أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم)، قَالَ لَهَا: "أُرِيتُكِ فِي المَنَامِ مَرَّتَيْنِ، أَرَى أَنَّكِ فِي سَرَقَةٍ (قطعة) مِنْ حَرِيرٍ، وَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَاكْشِفْ عَنْهَا، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ"(1).

وقد أحب الرسول (ﷺ) السيدة عائشة حُبًّا شديدًا؛ فعن سيدنا عَمْرِو بْنِ العَاصِ (رضي الله عنه) أنه سأل النبي(ﷺ) فقَالَ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا»..[٢].

ولما مرض رسول الله (ﷺ) المرض الذي توفي فيه استأذن من زوجاته (رضي الله عنهن) أنْ يُمَرَّض في بيتها، فعن عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: "أَوَّلُ مَا اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ فَاسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِهَا وَأَذِنَّ لَهُ"[٣]، وتوفيّ في حِجرها ودُفن في بيتها.

كُنيتها:

كانت السيدة عائشة (رضي الله عنها) تُكنى بأم عبد الله؛ نسبة لابن أختها عبد الله بن الزبير (رضي الله عنه)، والذي أتت به إلى رسول الله (ﷺ)، وطلبت منهُ أن يكون لها كُنية كباقي النساء؛ فكنّاها بأمّ عبد الله نسبة لابن أختها أسماء؛ تطييبًا لخاطرها، فعن عروة عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (يَا رَسُولَ اللَّـهِ، كُلُّ صَوَاحِبِي لَهُـنَّ كُنًى، قَالَ: "فَاكْتَنِي بِابْنِكِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ" يَعْنِي: ابنَ أُختِها)[٤].

فضائل السيدة عائشة (رضي الله عنها) ومناقبها:

كانت السيدة عائشة (رضي الله عنها) أفقه نساء المسلمين، فقد امتلكت (رضي الله عنها) مكانةً رفيعة في العلم؛ وخاصة في رواية الحديث، وقد بلغ عدد مرويات السيدة عائشة (رضي الله عنها) من الحديث ألفين ومئتين وعشرة أحاديث، وكانت (رضي الله عنها) سريعة الفهم والذكاء والبديهة، فقد ذكر أبو موسى الأشعري أنّه قال: (ما أَشْكل علينا أصحابَ محمد (ﷺ) حديثٌ قط، فسألنا عنه عائشة (رضي الله عنها) إلا وجدنا عندها منه علمًا)[٥]، فكانت (رضي الله عنها) المرجع للمسلمين عندما يختلط عندهم شيء من القرآن، أو الحديث، أو الفقه، أو الفرائض، وكان المؤمنون يجدون عندها الجواب الشافي لجميع تساؤلاتهم واستفساراتهم، قال محمد بن شهاب الزهريّ: "لو جُمع علم النّاس كلهم ثم علم أزواج النبي (ﷺ) لكانت عائشة أوسعهم علمًا"[٦].

وهي التي برّأها القرآن الكريم من كل إفك وبهتان، في قرآن يتلى إلى يوم القيامة، حيث يقول سبحانه وتعالى في سورة النور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٧]، ويقول سبحانه: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٨].

الهوامش

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، بَابُ تَزْوِيجِ النَّبِيِّ (ﷺ) عَائِشَةَ (رضي الله عنها)، وَقُدُومِهَا المَدِينَةَ، وَبِنَائِهِ بِهَا، حديث رقم ٣٨٩٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ (ﷺ): «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»، حديث رقم ٣٦٦٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ اسْتِخْلَافِ الْإِمَامِ إِذَا عَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مِنْ مَرَضٍ وَسَفَرٍ، وَغَيْرِهِمَا مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، حديث ٤١٨.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في المرأة تُكنى، حديث رقم ٤٩٧٠.

(٥) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لشمس الدين الكرماني ١/ ٢٥، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

(٦) المستدرك للحاكم، كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ (رضي الله عنهم)، حديث رقم: ٦٧٣٤.

(٧) النور: ١١.

(٨) النور: ١٥ – ١٧.





أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش (رضي الله عنها)

هي أم المؤمنين، زوجة النبي (ﷺ) زينب بنت جحش، وهي بنت عمة رسول الله (ﷺ)؛ فأمها هي أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم[1]، عُرفت في حياتها بكثرة صدقاتها وزهدها في الدنيا.

وصفتها أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) فقالت عنها: "وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً خَيْرًا مِنْهَا، وَأَكْثَرَ صَدَقَةً، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَبْذَلَ لِنَفْسِهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الله (عز وجل) مِنْ زَيْنَبَ"[2]، وذكر النبي (ﷺ) أنها أواهة[3]، والْأَوَّاهُ هو: الْخَاشِعُ فِي الدَّعَاءُ الْمُتَضَرِّعُ فيه [4].

لمّا هاجرت زينب بنت جحش إلى المدينة المنورة خطبها رسـول الله (ﷺ) لزيد بن حارثة، وهو مولى لرسـول الله (ﷺ)، وقد كان النبي (ﷺ) متبنيًا له قبل تحريم التبني، فكان يقال له: زيد بن محمد، لكن زينب لم ترضَهُ لنفسـها لأنّها من قوم يعدُّون من كبار قريش وهو عبد فقير، إلا أنّ رسـول الله (ﷺ) أخبرها بأنّه قد رضي بزيد زوجًا لها فوافقت على الزواج منه.

كان الناس يعتبرون زينب زوجة ابن الرسول (ﷺ) بسبب انتشار التبني بينهم، وأراد الله تعالى

أن يُبطل التبني ويمنعه، لما يترتب عليه من مشكلات وحرمان لبعض الناس من حقوقهم وحصول البعض على حقوق ليست لهم، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يهدم عادة التبني من خلال أعظم نموذج في حياة الأمة وهو سيدنا محمد(ﷺ)، قال تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٦]، حيث كان العرب يمنعون زواج الرجل من زوجة ابنه بالتبني[٧].

وقع الشقاق وكثرت الخلافات بين الزوجين، وتبع ذلك حالة من النفور بينهما، شعرت السيدة زينب بصعوبة استمرار زواجها بسيدنا زيد بن حارثة، وأحس زيد بذلك، فذهب إلى النبي (ﷺ)، وأخبره أنّه يريد أن يفارق زينب، لكنّ رسول الله(ﷺ)كان يأمره بأن يُمسك عليه زوجه، ولكن الحياة قد استحالت بينهما فطلّقها زيد، وأوحى الله إلى النبي(ﷺ) يأمره بالزواج من زينب؛ لتأكيد النهي عن التبني، لكن الأمر كان شديدًا وصعبًا على النبي(ﷺ)، خوفًا من أن يقول بعض الناس إن محمدًا تزوج من زوجة ابنه، وكان الأمر الإلهي صريحًا بذلك حتى يبطل عادة التبني، فأعلن رسول الله (ﷺ) أن الله تعالى زوَّجه إياها وأنزل قوله تعالى: ﴿وإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ الله عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ الله وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا الله مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَالله أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾[٨].

تزوج النبي (ﷺ) السيدة زينب بنت جحش في السنة الخامسة من الهجرة، وتوفيت (رضي الله عنها) في سنة ٢٠ للهجرة، وكانت أول زوجة من زوجات النبي (ﷺ) تتوفى بعد وفاته، وتوفيت وهي تبلغ من العمر نحو ٥٣ سنة[٩]. وقد روت أم المؤمنين عائشة أَنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النبيِّ (ﷺ) سألنه عن أول زوجة من زوجاته ستلحق به بعد وفاته، فقال لهن النبي (ﷺ): "أَطْوَلُكُنَّ يَدًا"[١٠]، فأخذت كل واحدة منهن تقيس طول ذراعها وتقارنه بالأخرى ليرين أيهن أطول يدًا، فكانت السيدة سودة زوجة النبي (ﷺ) هي الأطول في القياس، ولكن بعد وفاة الرسول (ﷺ) كانت أول من لحق به من زوجاته هي السيدة زينب بنت جحش، ففهمن حينها مقصد الرسول(ﷺ) بقوله: "أطولكن يدًا" أنه يقصد بطول اليد: أي طول يدها إلى الصدقة والإنفاق والعطاء، حيث كانت من أكثرهن تصدقًا على الفقراء والمساكين (رضي الله عنها).

الهوامش

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٨ / ٨٠، رقم ٤١٣٢ . بتصرف.
(٢) مسند أحمد، ٤٢ / ٩٤، رقم ٢٥١٧٤.
(٣) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ٨ / ١٥٤. بتصرّف.
(٤) تفسير الطبري،١٤ / ٥٣٢ ، فتح الباري ٦ / ٣٨٩ . بتصرّف.
(٥) الأحزاب: ٥ .
(٦) الأحزاب: ٤٠.
(٧) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ٢ / ٤٩٦ . بتصرّف.
(٨) الأحزاب: ٣٧.
(٩) سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، ٢١١/٢، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
(١٠) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ فَضْلِ صَدَقَةِ الشَّحِيحِ الصَّحِيحِ، حديث رقم١٤٢٠.



هي السيدة خَوْلة بنت مالك بن ثعلبة زوجة الصحابي أوس بن الصامت (رضي الله عنهما)، التي كانت لها قصة مع زوجها كانت سببًا في نزول سورة من سور القرآن الكريم هي سورة المجادلة[1].

ذات ليلة
غضب أوس بن الصامت من زوجته خَوْلة (رضي الله عنها) ودب بينهما خلاف، فقال لها: "أنتِ عليَّ كظَهْر أمي"[2]، وهذا القول كان في الجاهلية يعد نوعًا من أنواع التحريم والطلاق من الزوج لزوجته، أي أنها تصير مُحرَّمة عليه مثل أمه.

وجدت خولة (رضي الله عنها) نفسها مُحرمة على زوجها، ولا تدري ماذا تفعل ولها منه أطفال تخاف إن طلقها وانفصلت عنه أن يضيعوا ولا يجدوا من يعولهم وينفق عليهم، وهو يريد أن يعود إليها وهي تخشى أن تكون بذلك قد طُلقت منه!!

أدركت خولة (رضي الله عنها) أن الحل عند النبي (صلى الله عليه وسلم) فذهبت إليه، وكانت السيدة عائشة (رضي الله عنها) زوجة النبي (صلى الله عليه وسلم) في الغرفة لا يفصلها عن مجلس الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخولة حاجز، لكنها رغم ذلك لم تسمع من حديثهما شيئًا لانخفاض صوتهما، وقد سمع الله قولها وحوارها مع النبي (صلى الله عليه وسلم).

روت السيدة خولة (رضي الله عنها) للنبي (صلى الله عليه وسلم) ما حدث، وحكَتْ ما دار بينهما وما تلفَّظ به زوجها، ففي الحديث أنها نَازَعَتْهُ فِي بَعْضِ الشَّيْءِ فَقَالَ: "أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي"، وَكَانَ لَهُ عَيِّلٌ أَوْ عَيِّلَانِ، فَلَمَّا سَمِعَتْهُ يَقُولُ مَا قَالَ احْتَمَلَتْ صِبْيَانَهَا فَانْطَلَقَتْ تَسْعَى إِلَى رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فقالَتْ: " يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ زَوْجِي فَقِيرٌ ضَرِيرُ الْبَصَرِ، وَإِنِّي نَازَعْتُهُ فِي شَيْءٍ فَقَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، فَرَفَعَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) رَأْسَهُ فَقَالَ: "مَا أَعْلَمُ إِلَّا قَدْ حُرِّمْتِ عَلَيْهِ"(٣)، أخذت خولة (رضي الله عنها) تعيد الكلام وتبين لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما قد يصيبها وأبناءها إذا افترقت عن زوجها، فقالت: لو تركتُهم له ضاعوا لعدم وجود أم تربي وترعى، ولو تركَهم لي جاعوا لعدم وجود من ينفق عليهم، وفي كل مرة يقول لها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " مَا أَعْلَمُ إِلَّا قَدْ حُرِّمْتِ عَلَيْهِ ".

اتجهت السيدة خولة (رضي الله عنها) بالدعاء إلى الله سبحانه أن يفرج كربها، وبالفعل ما كادت تفرغ من دعائها حتى نزل الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال لها: " يَا خُوَيْلَةُ، قَدْ أَنْزَلَ الله فِيكِ وَفِي صَاحِبِكِ "(٤).

ثم قرأ عليها قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ* الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾(٥).

وبيّن النبي (صلى الله عليه وسلم) للسيدة خولة حل مشكلتها من خلال هاتين الآيتين ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ* فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٦)، ومعنى الآيتين: أنه يمكنه أن يعود إليها لكن بعد أن يُكفِّر عن هذا الظهار بأن يفعل أحد الأمور التي بيَّنتها الآيات: إما أن يعتق رقبة، أي: يشتري عبدًا ويقوم بتحريره كفارة عن ظهاره، فإذا لم يجد يصوم شهرين متتابعين، فإذا لم يستطع الصيام أطعم ستين مسكينًا(٧).

فقالت السيدة خولة (رضي الله عنها) لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): إن زوجها فقير لا يستطيع أن يحرر عبدًا، كما أنه شيخ كبير لا يقوى على الصيام، ولا يملك ما يطعم به ستين مسكينًا!! ولكني سأعينه بعَرَق من تمر ، أي: وعاء كبير مملوء بالتمر، فقال لها النبي (صلى الله عليه وسلم): قد أحسنتِ، اذهبي فأطعمي بها عنهُ ستين مسكينًا وارجعي إليه، فذهبت وأطعمت التمر لستين مسكينًا وعادت إليه، فكانت السيدة خولة بنت ثعلبة (رضي الله عنها) مثالًا للزوجة التي تحرص على استمرار حياتها الزوجية والحفاظ على أولادها وأسرتها من الضياع.



الهوامش

(١) انظر: تفسير الجلالين، ٧٢٤/١، والدر المنثور، ٨/ ٧٣، ٢٥١، وتفسير القرطبي، ٢٦٩/١٧، وتفسير ابن كثير، ٦٨/٦.

(٢) السنن الكبرى، كتاب الظهار، بَابُ سَبَبِ نُزُولِ آيَةِ الظِّهَارِ، حديث رقم ١٥٢٤٥.

(٣) السنن الكبرى، كتاب الظهار، بَابُ سَبَبِ نُزُولِ آيَةِ الظِّهَارِ، حديث رقم ١٥٢٤٥.

(٤) مسند أحمد، ٣٠٠/٤٥، حديث رقم: ٢٧٣١٩.

(٥) المجادلة: ١،٢.

(٦) المجادلة: ٣، ٤.

(٧) انظر: تفسير القرطبي٢٦٩/١٧، وتفسير ابن كثير ٦٦/٨، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٠/ ١٣١٤.





تنسيق ومتابعة
شرين سعد الدين

المراجعة اللغوية
د. أيمن إبراهيم طاجن



سلسلة رؤية للنشء

سلسلة تصدرها وزارتا الأوقاف المصرية ممثلة في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والثقافة ممثلة في الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وتهدف السلسلة إلى تنمية مهارات النشء اللغوية، والمعرفية، والإبداعية، وتقديم زادٍ معرفيٍّ وثقافيٍّ يُسهم في تكوين شخصية النشء وتحصينه ضد الأفكار المنحرفة والمتطرفة.

أ.د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف



الغلاف: إيمان حامد